أوضاع اللاجئين والنازحين الفلسطينيين

وحق العودة ووكالة الغوث
والمعاملة الدولية للمشكلة

الباب الثاني

اللجوء والتهجير وتشتت الأسر ومغادرة الوطن عامي (١٩٤٨ -١٩٤٩)

◆ ◆ ◆

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

عندما تزور أى معسكر من معسكرات اللاجئين الفلسطينيين المنتشرة فى قطاع غزة والدول العربية المضيفة المحيطة بإسرائيل : فى لبنان ، وسوريا والأردن ، وتجد فى طريقك طفلاً تسأله من أين أنت ؟ فلن يجيبك مباشرة بل سيندفع إلى داخل منزله وسيعود بسرعة البرق قبل أن يجيبك ويقدم لك مفتاحا قديما أسود اللون وثقيل الوزن ومعه لفافة من ورق السلوفان وسيقول لك : أنا من اللد أو الرملة أو حمامة أو أى واحدة من عشرات المدن والقرى التى هجر منها اللاجئون وهذا هو مفتاح بيتى وهذا هو «الطابو» وهى كلمة تركية معناها «سند الملكية الموثق» وهو ما يقابل عندنا «العقد المسجل فى الشهر العقارى» وسوف تسأله بالتبعية هل شاهدت منزلك هذا وسيقول لك: إن أبى شاهده عندما كان طفلاً ونزح من فلسطين وهذه صورة جدى سأضعها حال عودتى للمنزل وأنا عائد إن شاء الله.

وسوف تلاحظ فى عينى الطفل هذا الإصرار العجيب و الحماسة المتدفقة والإيمان العميق الذى لم يطفئه أو حتى يجعله يخبو بعد مرور ٦٢ عاماً حتى هذا الصيف عام (٢٠٠٩) على نزوح الآباء والأجداد ولم تنل من إصراره حروب عربية مع إسرائيل خسرناها ، ولا مناخ من اليأس يشيع فى بعضنا ، ولا سياسات فاشلة ، ولا ساسة أصبحوا مستسلمين للأمر الواقع ، وصعوبة تغييره وراحوا يتفقون غير مفوضين من جماهير النازحين الذين عاشوا لأجيال فى أسوأ ظروف معيشية عاش فيها الإنسان على مر التاريخ ، ومن وراء ظهورهم ليتنازلوا باسمهم عن حق

عودتهم ، أو مجرد أن يحدثوا خلخلة فى هذا الحق .

وتستطيع إسرائيل بسهولة أن تبيد هذا الطفل وأبوه وأهل المعسكر كلهم جميعاً بطائرة واحدة من طائرات الأباتشى المروحية ، أو طائرة F15 أو F16 من التى قدمتها لها الولايات المتحدة الأمريكية كمعونة عسكرية بدون مقابل ، أو تستطيع أن تضرب هذا المعسكر من البحر بغواصات قدمتها إليها ألمانيا أو زوارق توربين من التى قدمتها إليها فرنسا ، كما تقوم بفعل ذلك يومياً فى الوطن الفلسطينى المستباح ، لكن جميع أسلحة العالم لا تستطيع أن تفت فى عضد هذا الطفل وتجعل هذا الإصرار يخبو من عينيه أو تنال من تصميمه هو وأبوه وأهل المعسكرات جميعاً من إيمانهم العميق بأنهم عائدون .

وتجد هذا الإصرار فى كل المعسكرات فى البلاد المضيفة وفى بلاد الشتات بنفس الإيمان والحماس والثقة واليقين . فلماذا يترك شعب وطنه وأرضه وأهله وتراثه وثروته ومصدر رزقه ومرتع صباه وأرض أجداده وقد ترك كل ماله، وكل الأهل قد تشتتوا وذهب كل منهم إلى مستقبل مجهول لا يعلم كيف سيعيش ومن هم الذين سيجاورهم .

أسباب اللجوء والتهجير ومغادرة الديار

قبل إعلان قيام دولة إسرائيل قامت العصابات الصهيونية مثل (شتيرن – هاجاناه بقيادة بن جوريون – أرجون بقيادة مناحم بيجن – ليهى بقيادة إسحق شامير) بالترويع والقتل والحرق والاغتصاب وتدمير القرى والمزروعات وقتل الحيوانات وتم ذلك أيضا بعد قيام الدولة فى ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ على يد القوات الإسرائيلية ، مما دعى عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلى مغادرة أراضيهم وترك ديارهم والفرار من وجه هذا العدو المتوحش:

توزيع عدد اللاجئين وقراهم وأرضهم فى كل قضاء[1]

م	القضاء	السكان العرب ٤٩/٤٨	الأراضي المحتلة بالدونم	عدد المهجرين حتى ٢٠٠٨	القرى المهجرة
١	عكا	٤٧,٠٣٨	٣١٠,٥٧١	٤١٣,٣٩٧	٣١
٢	الرملة	٩٧,٤٠٥	٦٠٩,٠٤٦	٨٥٦,٠٥١	٦١
٣	بيسان	١٩,٦٠٢	٢٥٥,٠٢٩	١٧٢,٢٧٣	٣٣
٤	بئر السبع	٩٠,٥٠٧	١٢,٥٧٧,٠٠٠	٧٩٥,٤٢٨	١٨٤
٥	غزة	٧٩,٩٤٧	٨٠,٠١٨	٧٠٢,٦٢٠	٤٧
٦	حيفا	١٢١,١٩٦	٦٣٦,٤٢١	١,٠٦٥,١٤٠	٦٣
٧	الخليل	٢٢,٩٩١	٣٧٥,٩٦٠	٢٠٢,٠٥٨	١٦

(١) سلمان أبو ستة : حق العودة – إصدارات سياسية ، العدد رقم (١) يناير ١٩٩٩ ، المركز القومى للدراسات والتوثيق – مطابع منصور صـ٧ ، أما عدد المهجرين فى ٢٠٠٨ ، وعدد القرى المهجرة من خريطة مرفقة بجريدة العربى الكويتية مايو ٢٠٠٨ من إعداد سلمان أبو ستة.

م	القضاء	السكان العرب ٤٩/٤٨	الأراضي المحتلة بالدونم	عدد المهجرين حتى ٢٠٠٨	القرى المهجرة
٨	يافا	١٢٣,٢٢٧	٢١٠,٢٦٠	١,٠٨١,٢٦٨	٢٥
٩	القدس	٩٧,٩٥٠	٢٧٢,٧٣٥	٨٦٠,٨٤٠	٣٨
١٠	جنين	٤,٠٠٥	١٢٣,١٢٤	٣٥,١٩٨	٦
١١	الناصرة	٨,٧٤٦	٩١,٣٥٦	٧٦,٨٦٥	٧
١٢	صفد	٥٢,٢٤٨	٥٣١,٦٠٢	٤٥٩,١٨٥	٨٨
١٣	طبريا	٢٥,٨٧٢	٣٠٥,٢٠٧	٢٥٣,٧٤٣	٢٨
١٤	طولكرم	١١,٣٣٣	٢٠٠,٦٢٨	٩٦,٩٥٦	٢٦
مجموع الشمال		٢٧٧,٧٠٢	٢,١٢٩,١٨٦	---	-----
مجموع الوسط		٣٣٣,٩٢٠	١,٤١٥,٨٨٣	---	-----
مجموع الجنوب		١٩٣,٤٤٥	١٣,٦٣٢,٩٧٨	---	-----
المجموع الكلي		٨٠٥,٠٦٧	١٧,١٩٨,٠٤٧	٧,٠٧١,٠٠٠	٦٥٣

جدول يوضح أسباب النزوح والتهجير من فلسطين[1] :

حسب الملفات الإسرائيلية	عدد القرى	النسبة المئوية
الطرد على يد القوات اليهودية	١٢٢	٪ ٢٢,٩
الهجوم العسكرى اليهودى المباشر	٢٧٠	٪ ٥٠,٨
الخوف من هجوم يهودى متجه نحو القرى	٣٨	٪ ٧,١
تأثير سقوط مدينة قريبة	٤٩	٪ ٩,٢
الحرب النفسية	١٢	٪ ٢,٢
الخروج الاختيارى	٦	٪ ١,١
غير معروف	٣٤	٪ ٦,٤
المجموع	٥٣١	٪ ١٠٠

أى أن ٩٠ ٪ من القرى نزحت بسب هجوم عسكرى يهودى .

(1) سلمان أبو ستة : حق العودة - إصدارات سياسية ، العدد رقم (١) يناير ١٩٩٩ ، المركز القومى للدراسات والتوثيق صـ٧.

تطور أوضاع اللاجئين الفلسطينيين[1]

وجد اللاجئون الفلسطينيون الذين أجبروا قسرا على الخروج من ديارهم ووطنهم مأوى وملاذا فيما تبقى لهم من الأراضى الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) وفى أماكن وبلدان أخرى ، حيث وضعوا فى نقاط تجمع أطلق عليها (المخيمات) .

وللإحاطة بواقع اللاجئين الفلسطينيين برؤية واضحة ، لابد أن نتعرف على أماكن تواجدهم ، تقسيماتهم ، عددهم وتوزيعهم وذلك من خلال قراءة إحصائية نقوم بعرضها على النحو التالى :

الجهة وتقديرها لعدد اللاجئين عام ١٩٤٨

م	تقدير أعداد اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ حسب الجهات / المصادر المختصة	العدد
١	التقديرات العربية	٩٤٠,٠٠٠
٢	وكالة الغوث الدولية «الأونروا»	٩١٤,٢٢١
٣	لجنة التوفيق	٧٦٦,٠٠٠
٤	الأمم المتحدة	٧٥٠,٠٠٠
٥	الخارجية البريطانية	٦٧٠,٠٠٠
٦	تقدير إسرائيلى – موشيه أفرت	٦٠٤,٠٠٠
٧	الملفات الإسرائيلية	٥٢٠,٠٠٠

(1) أسطوانة حاسب آلى : مجلة السياسة الدولية (اللاجئون من الحروب فى العالم العربى) هدية العدد ١٦٨ ابريل ٢٠٠٧.

م	تقدير أعداد اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ حسب / الباحثين والدارسين	العدد
١	ناهض زقوت	١,٢٠٠,٣٨٧
٢	عودة شحاتة	١,٠٠٠,٠٠٠
٣	د. هنرى كتن	٩٦٠,٠٠٠
٤	د. شريف كناعنة	٨٥٠,٠٠٠
٥	د. سلمان أبو ستة	٨٠٤,٧٤٧
٦	إيليا زريق	٨١٠,٠٠٠
٧	محمد سعيد	٨٠٠,٠٠٠
٨	جانيت أبو لغد	٧٧٠,٠٠٠
٩	سهيل الناطور	٧٥٠,٠٠٠
١٠	وليد الخالدى	٧٤٤,١٥٠
١١	د. رمضان بابا دجى	٧٢٦,٠٠٠

المجازر التي قامت بها القوات الصهيونية لدفع السكان مغادرة أراضيهم

إن كل مرحلة من مراحل الغزو الصهيوني كانت تفتتح بمذبحة تليها مذابح أخرى .

المرحلة الأولي : بدأت بمذبحة دير ياسين ، والثانية بمذبحة اللد ، والثالثة بمذبحة الدوايمة وسعسع ، ولقد سجلنا هنا عدد من المذابح حيث تعرف المذبحة بأنها (القتل الفردي للأهالي – أو قتل أسرى الحرب – أو القتل الجماعي للمدنيين بالغارات الجوية خصوصاً في أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٨) .

مذبحة دير ياسين مشهورة ، لكن أكبر المذابح هى مذبحة الدوايمة ، حيث تقع قرية الدوايمة (٣٠٠, ٤) نسمة في قضاء الخليل فبعد صلاة الجمعة ٢٩/ ١٠/ ١٩٤٨ تقدمت ٣ وحدات من الكتيبة ٨٩ فى اللواء الثامن ، إلى القرية وأحاطت بها من ٣ جهات ، تاركة الجهة الشرقية مفتوحة ، وكما يقول جندي شارك في المعركة «قتلت فى أول موجة ٨٠ – ١٠٠ عربي ، نساءً وأطفالاً بتهشيم رؤوسهم بالعصي ، لم يكن هناك بيت دون قتلى ، أخذوا امرأة تحمل طفلاً حديث الولادة لتنظيف المكان ثم أطلقوا النار عليها ، هذا لم يكن عملاً في خضم المعركة بل خطة للطرد والتدمير » .

قتل الجنود الإسرائيليون ٥٠ عربياً في المسجد. بعض الأهالي هربوا إلي مغارة «طور الزاغ» وصفوهم صفين ، وأطلقوا عليهم الرصاص. بعضهم نجا وحكى

القصة ، وبعد أسبوعين من المماطلة لإخفاء آثار الجريمة سمحت إسرائيل لمراقبي الأمم المتحدة بتفقد المكان. لاحظ المراقبون أن كثيراً من البيوت يتصاعد منها الدخان ولها رائحة غريبة كرائحة عظم يحترق ، وكان (بن جوريون) قد أشار إلى هذه المذبحة إشارة عابرة «هناك إشاعة عن ذبح ٧٠ – ٨٠ قروي» .

وبعد عدة سنوات زار مراسل صحيفة حداشوت المكان مع «مختار القرية» وحفروا ووجدوا هياكل عظمية منها لأطفال. قدم المختار قائمة للسلطات الأردنية (٥٨٠) ضحية وقت المذبحة[١]

ويوضح الجدول التالي بعض القرى التى تمت بها المجازر التى قامت بها القوات الإسرائيلية فقط فى عام ١٩٤٨ . وجرت مذابح أخرى قبل وبعد هذا التاريخ.

بعض القرى التى قامت القوات الإسرائيلية بإرتكاب المجازر فيها[٢]

م	اسم المجزرة	التاريخ	الأحداث والضحايا
١	مجزرة يافا	١٩٤٨/١/٤	مقتل ١٥ وجرح ٩٨
٢	مجزرةالسرايا	١٩٤٨/١/٤	(مقتل ٣٠ وجرح العشرات)
٣	مجزرة سميراميس	١٩٤٨/١/٥	قامت عصابة الهاجاناه بنسف الفندق فقتلت ١٩ وجرحت ٢٠ وبعدها بدأ سكان حى القطمون بالنزوح لأنه كان قريباً من الأحياء اليهودية
٤	مجزرة القدس	١٩٤٨/١/٧	مقتل ١٨ وجرح ٤١

(1) سلمان أبو ستة : حق العودة ـ إصدارات سياسية ، العدد رقم (١) يناير ١٩٩٩ صـ١٢.

(2) الدكتور: رفعت سيد أحمد : وثيقة تاريخية الهولوكست الصهيونى فى فلسطين ٧٠ عاماً من المجازر. مركز يافا للدراسات والأبحاث ، المعادي ـ القاهرة .

م	اسم المجزرة	التاريخ	الأحداث والضحايا
٥	مجزرة السرايا العربية	١٩٤٨/١/٨	والسرايا العربية بناية شامخة تقع فى مقابل ساعة يافا المعروفة وكانت بها مقر اللجنة القومية العربية وتم تفجير سيارة ملغومة بها فقتل ٧٠ وجرح العشرات
٦	مجزرة الرملة	١٩٤٨/١/١٥	ونفذتها جماعة البالماخ بقيادة إيجال آلون وإسحق رابين وبن جوريون وجميعهم كانوا قادة فى عصابة الأرجون وقتل فى المجزرة العشرات
٧	مجزرة يافا	١٩٤٨/١/١٦	مقتل ٣١ وجرح العشرات
٨	مجزرة يازور	١٩٤٨/١/٢٢	مقتل ١٥ وجرح العشرات ونفذها إسحق رابين وعصابة الهاجاناة
٩	مجزرة حيفا	١٩٤٨/١/٢٨	مقتل ٢٠ وجرح ٥٠
١٠	مجزرة طيرة طولكرم	١٩٤٨/٢/١٠	مقتل ٧ وإصابة ٥ بجراح
١١	مجزرة سعسع	١٩٤٨/٢/١٤	مقتل ٦٠ وجرح العشرات وكان أغلبهم من الأطفال
١٢	مجزرة القدس	١٩٤٨/٢/٢٠	مقتل ١٤ وجرح ٢٦ آخرين
١٣	مجزرة حيفا	١٩٤٨/٢/٢٠	مقتل ٦ وجرح ٣٠
١٤	مجزرة الحسينية	١٩٤٨/٣/١٣	مقتل ٣٠ وجرح العشرات
١٥	مجزرة أبو كبير	١٩٤٨/٣/٣١	مصرع العشرات على أيدى الهاجاناة
١٧	مجزرة قطار حيفا – يافا	١٩٤٨/٣/٣١	مصرع ٤٠ وجرح ٦٠ على أيدى

م	اسم المجزرة	التاريخ	الأحداث والضحايا
			عصابة شتيرن
١٨	مجزرة الرملة	مارس ١٩٤٨	مصرع ٢٥ وجرح العشرات
١٩	مجزرة دير ياسين	١٠/٤/١٩٤٨	مصرع ٢٥٤ رجلاً وامرأة وطفلاً منهم ٢٥ امرأة حامل و٥٢ طفل دون سن العاشرة وجرح المئات
٢٠	مجزرة قالونيا بالقدس	١٢/٤/١٩٤٨	مقتل ١٤ وإصابة العشرات
٢١	مجزرة اللجون	١٣/٤/١٩٤٨	مصرع ١٣ وإصابة العشرات
٢٢	مجزرة ناصر الدين	١٤/٤/١٩٤٨	مقتل ١٢ وإصابة العشرات
٢٣	مجزرة طبرية	١٩/٤/١٩٤٨	مقتل ١٤
٢٤	مجزرة حيفا	٢٢/٤/١٩٤٨	مقتل ١٠٠ وجرح ٢٠٠
٢٥	مجزرة عين الزيتون	١/٥/١٩٤٨	مقتل ٧٠ وكانوا أسرى مقيدين
٢٦	مجزرة صفد	١٣/٥/١٩٤٨	مقتل ٧٠ وإصابة العشرات
٢٧	مجزرة أبو شوشة	١٤/٥/١٩٤٨	مقتل ٦٠ وإصابة العشرات وتم القتل وهم مدفونون أحياء في مقابر
٢٨	مجزرة بيت داراس	٢١/٥/١٩٤٨	مقتل العشرات بنفس أسلوب القتل في دير ياسين
٢٩	مجزرة الطنطورة	٢٣/٥/١٩٤٨	مقتل ٥٠ واصابة العشرات
٣٠	مجزرة الرملة	يونيو ١٩٤٨	قتل فيها المئات ونتج عنها أنه لم يتبق في الرملة سوى ٢٥ عائلة بعدها
٣١	مجزرة جمزو	٩/٧/١٩٤٨	قتل ١٠ وأصيب أكثر من مائة
٣٢	مجزرتا اللد	١٢/٧/١٩٤٨	قتل ٢٥٠ شهيداً و٧٠٠ جريح
٣٣	مجزرة المجدل	١٧/١٠/١٩٤٨	قتل العشرات بعد غارات

م	اسم المجزرة	التاريخ	الأحداث والضحايا
			بالطيران
٣٤	مجزرة الدوايمة	١٩٤٨/١٠/٢٩	قتل ما بين ٨٠ – ١٠٠ فلسطيني وأصيب المئات بجروح
٣٥	مجزرة عيلبون	١٩٤٨/١٠/٣٠	قتل ١٤ وإصابة العشرات
٣٦	مجزرة الحولة	١٩٤٨/١٠/٣٠	قتل ٧٠وإصابة العشرات
٣٧	مجزرة الدير والبعنة	١٩٤٨/١٠/٣١	قتل ٤ شباب وإصابة العشرات
٣٨	مجزرة عرب المواسى	١٩٤٨/١١/٢	قتل ١٤ وإصابة العشرات
٣٩	مجزرة مجد الكروم	١٩٤٨/١١/٥	قتل فيها ٧ شباب وامرأتين
٤٠	مجزرة أبو زريق	١٩٤٨	تم قتل وجرح العشرات
٤١	مجزرة أم الشوف	١٩٤٨	قتل ٧ شباب اختيروا عشوائيا لإعدامهم
٤٢	مجزرة الصفصاف	١٩٤٨	قتل ٥٢ رجلاً بعد ربطهم بالحبال واغتصبت ثلاث فتيات وقتلت أربعة أخريات
٤٣	مجزرة جيز	١٩٤٨	قتل ١١ رجلاً وامرأة وطفل
٤٤	مجزرة وادى شوباش	١٩٤٨	قتل فيها العشرات وكانت القوة الإسرائيلية بقيادة رحبعام زئيفى الوزير المقتول فى الانتفاضة الثانية المباركة

وفى محاولة من الدول العربية لمخاطبة الضمير العالمى وإحاطة العالم علماً بالمجازر التى قامت بها الجيوش الصهيونية مثل مجزرة «دير ياسين» فلقد أذاعت ونشرت أخبارها إلا أنها ساهمت على عكس ما كان مبتغى فى ترويع السكان الفلسطينيين والمساعدة بدون قصد فى تحقيق هدف العدو . وما دير ياسين إلا

واحدة من ١٧ مجزرة تمت أثناء الانتداب البريطانى وتحت مسئوليته فضلا عن ١٧ مجزرة أخرى تمت بعد انتهاء الانتداب وقبل قيام الدولة العبرية .

واتبعت القوات اليهودية سياسة التطهير العرقى فكانت تحيط بالقرية من ثلاث جهات وتترك الرابعة مفتوحة ثم تجمع سكان القرية فى مكان واحد وتختار عدداً من الشباب لتعذيبهم أمام الجميع أو تحرقهم أحياء إذا وجدتهم مختبئين فى مسجد أو كنيسة أو كهف وتترك الباقين ليهربوا وينقلوا أخبار الفظائع والمجازر أو تأخذ بعضاً منهم لأعمال السخرة لنقل أحجار وأثاث ومتاع البيوت العربية التى هدمتها أو تسخرهم لحفر قبورهم والقبور الجماعية لأهلهم وذويهم .

النهب والتدمير

لقد احتلت إسرائيل مئات القرى والمدن واحتلت ملايين الدونمات من الحقول والحدائق . فماذا عملت إسرائيل بكل هذه الغنائم ؟

أولاً : بدأت عملية نهب واسعة النطاق ليس لها مثيل حيث يقول الكاتب اليهودي الشهير «موشيه سيملانسكى» لقد تملكت الشعب اليهودي شهوة عارمة للنهب . كنت ترى رجالا و نساءً أفرادا ومجموعات يهجمون كالطيور الجارحة على كل شيء لينهبوه . ملابس وأبواب وشبابيك وكراسي وبلاط ...إلخ »

ويشكو حارس (أملاك العدو) [1] أنه من أصل (٥٠,٠٠٠) بيت عربي لم يصل مخازنه إلا ٥٠٩ سجادة ، والباقي سرقها موظفوه وآخرون في الطريق . على أن عملية النهب الكبرى تمت في اللد والرملة ، حيث أصدر «إسحق رابين» أوامره بطرد (٦٠,٠٠٠) من سكانها .حمل الجيش الإسرائيلي ١٨٠٠ شاحنة من أملاك

(1) هى المؤسسة التى أنشأتها إسرائيل لإدارة الأرض المستولى عليها من الفلسطينيين.

الأهالي، أخذ ضابط إسرائيلي الكتيبة الخامسة التي يقودها لنهب الرملة وزار ابن جوريون المدينتين وسجل فى مفكرته «لقد رأيت ثروة ضخمة يجب ألا يضيع منها شيء واشتكى رجال الأحزاب من أن حزب (الماباى) الحاكم استأثر بأحسن الأشياء[1].

(1) سلمان أبو ستة : حق العودة صـ١٩.

obeikan.com

كيف حدث الهولوكوست الفلسطيني [1]

لكل قرية هجر أهلها سجلنا المعلومات الآتية بتسلسل زمنى : تاريخ النزوح ، عدد سكان القرية، المجموع التراكمى للاجئين أالعملية العسكرية الإسرائيلية التي طردتهم ، مجموع العمليات ، المدن الرئيسية التي احتلت والمذابح التى ارتكبت من هذا التحليل يتضح لنا ملاحظات هامة :

أن إسرائيل بدأت عملية الغزو لفلسطين حسب خطة موضوعة منذ زمن بعيد وآخر تعديل لها هو خطة «دالت» التى بدأت فى أوائل أبريل ١٩٤٨ عندما كانت فلسطين تحت الحماية البريطانية ، ويقع الوزر على بريطانيا إضافة إلى إسرائيل حيث لم تقم بريطانيا بواجبها فى حماية السكان العزل ، وفى نفس الوقت الذى رفضت فيه بريطانيا دخول أى جيش عربى إلى فلسطين لإنقاذ أهلها قبل انتهاء الانتداب .

حتى نهاية الانتداب البريطانى فى١٥/ ٥/ ١٩٤٨ كان الصهاينة قد احتلوا (٢١٣ محلة وهى القرى الصغيرة) ٤٣٪ منها ، وطردوا (٤١٣,٠٠٠) لاجئ ٥٤٪ منها ، وإذا أضفنا إلى ٢٧ يوما من القتال بعد نهاية الانتداب إلى تلك المرحلة أباعتبار أن القوات العربية لم تألف بعد المكان أو تستعد للقتال بالشكل الكافى فيكون الصهاينة قد احتلو (٢٩١ محلة) ٥٩٪ وطردوا (٥٠٠,٠٠٠) لاجئ ٦٥ ٪ فى تلك الفترة . وبذلك يكون مصير فلسطين قد تقرر سلفا قبل أن تبدأ القوات العربية عملياتها لإنقاذ فلسطين من الصهاينة .لذلك فإن طرد اللاجئين لم يكن دفاعا عن النفس بل كان عدوانا صريحا وغزواً مخططا له من أجانب قادمين من الخارج .«من أصل

(1) الهولوكست : تعبير يقصد به محنة اليهود الأوروبيين بين عامي (١٩٤١-١٩٤٥) على يد ألمانيا النازية .

(٦٠٠,٠٠٠) يهودى كان (٢٥٠,٠٠٠) فقط يحملون الجنسية الفلسطينية».

المدهش حقا إنه لم يحدث نزوح أثناء توقف العمليات العسكرية لأى سبب ومهما كانت مدة التوقف قصيرة . فقد كان من المتوقع أنه إذا كان النزوح بأوامر عربية أو بسبب الهروب من الأخطار المحدقة أن تكون فترة توقف القتال فرصة ذهبية لجمع المتاع وترتيب هجرة الأسرة ، لكن ذلك لم يحدث . هذه ملاحظة فى غاية الأهمية ولم تذكرها دراسات سابقة بما يؤكد تمسك الأهالى بالأرض [١].

بدأت عملية تدمير واسعة للقرى . لكن بقيت المدن العربية وأهملت ومنع إصلاحها أو ترميمها . سكن فيها ثلث اليهود المهاجرين الجدد فى العشر سنوات الأولى فى القرى وهدموا البيوت وغيروا الطرق وقطعوا الأشجار وحرقوا المزروعات وأطلقوا الرصاص على كل من يعود لقريته وسموه «متسللا» ولكى لا يستطيع المواطنون البسطاء تمييز قراهم وأراضيهم ولكى يقطعوا الأمل فى العودة بدأوا بتدمير القرى فى ممرين رئيسيين(الطريق بين تل أبيب والقدس ، الطريق بين تل ابيب وحيفا) ثم فى المناطق الأخرى بدرجة أقل . وقد قام «غازى فلاح» عام ١٩٩٠ بمسح شامل لكل القرى المدمرة، نورد نتيجته فى جدول يوضح التدمير للقرى الفلسطينية الذى قامت به العصابات الصهيونية[٢] .

	عدد القرى	النسبة المئوية
تدمير شامل	٢٢١ قرية	٥٣٪ من مجموع القرى
تدمير جزئى	١٣٤ قرية	٣٢٪
تدمير بسيط	٥٢ قرية	١٢٪
قرى لم يمكن الوصول إليها	١١ قرية	٣٪
المجموع .	٤١٨ قرية	١٠٠٪

(1) المصدر السابق صـ١٠.

(2) المصدر السابق صـ٢٠.

تطور التهجير من فلسطين[1]

وما أن جاءت نهاية الانتداب البريطانى ورحيل آخر جندى بريطانى مساء يوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ حتى سيطرت إسرائيل على ١٣٪ من مساحة فلسطين وطردت ٤٠٠ ألف لاجئ من ١٩٩ قرية أى أن أكثر من نصف اللاجئين طردتهم القوات اليهودية وهم تحت حماية بريطانية وقبل إعلان دولة إسرائيل وقبل دخول القوات العربية فلسطين كما يدل على ذلك الجدول التالى :

	عدد القرى	عدد اللاجئين
أثناء الانتداب وتحت حماية القوات البريطانية وقبل إعلان قيام دولة إسرائيل	١٣	٤١٣,٧٩٤٢ (٥٢ ٪)
خلال حرب ١٩٤٨	٦٤	٣٣٩,٢٧٢٢ (٤٢ ٪)
بعد توقيع اتفاقيات الهدنة (بما فى ذلك تواريخ غير معروفة)	٥٤	٥٢,٠٠١ (٩ ٪)
المجموع	٥٣١	

وكان الفلسطينيون المغادرين لأرضهم يشعرون أنهم عائدون وإن هى إلا أسابيع قليلة أو شهور على الأكثر حتى تنجح الدول العربية فى طرد هؤلاء الغزاة الصهاينة يعودون إلى قراهم التى هاجروا منها ، كما يدل على ذلك الجدول التالى والذى يؤرخ لبدء نكبة الشعب الفلسطينى والجدول التالى يبين.

(1) سلمان أبو ستة : فلسطين النداء ما قبل الأخير ،مجلة العربى عدد مايو ٢٠٠٠.

الأماكن التي خرج منها اللاجئين الفلسطينيين وأعدادهم وأين كانت مواطنهم[1]

القضاء	عدد القرى المهجرة	عدد اللاجئين	
		عام ١٩٤٨	وصل عام ٢٠٠٠
عكا	٣٠	٤٧,٠٣٨	٣٠٦,٧٥٣
الرملة	٦٤	٩٧,٤٠٥	٦٣٥,٢١٥
بيسان	٣١	١٩,٦٠٢	١٢٧,٨٣٢
بئر السبع	٨٨	٩٠,٥٠٧	٥٩٠,٢٣١
غزة	٤٦	٧٩,٩٤٧	٥٢١,٣٦٥
حيفا	٥٩	١٢١,١٩٦	٧٩٠,٣٦٥
الخليل	١٦	٢٢,٩٩١	١٤٩,٩٣٣
يافا	٢٥	١٢٣,٢٢٧	٨٠٣,٦١٠
القدس	٣٩	٩٧,٩٥٠	٦٣٨,٧٦٩
جنين	٦	٤,٠٠٥	٢٦,١١٨
الناصرة	٥	٨,٧٤٦	٥٧,٠٣٦
صفد	٧٨	٥٢,٢٤٨	٣٤٠,٧٢٩
طبرية	٢٦	٢٨,٨٧٢	١٨٨,٢٨٥
طولكرم	١٨	١١,٠٣٢	٧١,٩٤٤
المجموع	٥٣١	٨٠٤,٧٦٦	٥,٢٤٨,١٨٥

(١) سلمان أبو ستة : فلسطين النداء ما قبل الأخير ،مجلة العربى عدد مايو ٢٠٠٠.

أى أن ٨٥ ٪ من أهالى الأرض التى أقيمت عليها إسرائيل أصبحوا لاجئين وكان من المعتقد فى ذلك الوقت أنه من غير المعقول أن لا تنجح الدول العربية مجتمعة بما لها من عدد من السكان ومن الجيوش النظامية وما لها من موقع جغرافى متميز ووزن دولى وحضارة وعلاقات دولية فى خلال وقت قصير من طرد هؤلاء الغزاة وعودتهم من حيث أتوا إلى أوطانهم لكن هذا التصحيح لحركة التاريخ لم يتم حتى الآن (٢٠٠٩) ومرت ٦١ عاماً تحتفل إسرائيل فى كل منها بذكرى قيامها .

وضع الأراضي الفلسطينية في إسرائيل بعد قيام الدولة عام ١٩٤٨

عقب احتلال فلسطين سنت إسرائيل قانون أملاك الغائبين في مارس ١٩٥٠ اعتبرت فيه اللاجئين « غائبين » وحتى الفلسطينيون الباقون ، خصوصاً في النقب ، نقلتهم بالقوة إلى أماكن أخرى واعتبرتهم غائبين في التاريخ المحدد وبموجب هذا القانون تم تعيين حارس لإدارة تلك الأملاك «المهجرة» وأعطته صلاحيات المالك ، وجعلته مسئولاً (أمام المالك الغائب) عن قيمة هذه الأملاك (التي تم تثمينها بثمن بخس بموجب قانون آخر) ولكنه غير مسئول عن إعادتها إليه .

ولما كانت إسرائيل تخشي اتهامها بالاستيلاء على تلك الأملاك المحتلة وهو غير مشروع في القانون الدولي لجأت إلى حيلة قانونية وهي إنشاء هيئة مستقلة سمتها «هيئة التطوير» وذلك بموجب قانون « نقل الملكية » الصادر في يوليه ١٩٥٠ وقد حول حارس أملاك الغائبين هذه الأملاك إلى «هيئة التطوير» التي أعطيت صلاحيات واسعة للتصرف بها وبإنشاء تلك الهيئة المستقلة أرادت إسرائيل نفي أي مسئولية قانونية عنها في حال التصرف بتلك الأملاك لكنها أضافت إلى ذلك القانون مادة تقضي بأنه في حال حل تلك الهيئة تعود صلاحيتها إلى وزير المالية ، وهكذا عادت تلك الصلاحية إلي حكومة إسرائيل.

وتشمل صلاحيات هيئة التطوير ما يلي :

بيع وشراء وتأجير واستبدال وبناء وإصلاح وتطوير وفلاحة تلك الأملاك بشرط أن لا يتم البيع إطلاقاً إلا لدولة إسرائيل أو للصندوق القومي اليهودي أو

للسلطات المحلية أو إلى مؤسسة لاستيطان العرب من غير ذوي الأملاك وهذه المؤسسة الأخيرة ذكرت لذر الرماد في العيون لأنها لم تنشأ قط .

وبعد احتلال فلسطين حدث نزاع شديد بين دولة إسرائيل والصندوق القومي اليهودي استمر حوالي عشر سنوات حول الاستيلاء على أملاك العرب ، فقد رأي الصندوق وهو مسجل كشركة بريطانية عام ١٩٠٧ أنه مالك جميع تلك الأراضي باسم الشعب اليهودي في كل مكان إلي الأبد بينما رأت الدولة أنها الآن صاحبة هذا الحق بموجب انتصار الهاجاناه ونزوح العرب وأن مهمة الصندوق قد انتهت .

وقد انتهى النزاع عام ١٩٦٠ بسن مجموعة قوانين هي : القانون الأساسي الذي لا يسمح ببيع الأراضي بل بتأجيرها قانون أراضي إسرائيل وكان يسمي قانون أراضي الشعب اليهودي قانون إدارة أراضي «أراضي إسرائيل» وهكذا حذفت كلمة «الشعب اليهودي في كل مكان» واستبدلت بكلمة «دولة إسرائيل» في أسماء تلك القوانين[1] .

هذا النظام العنصري الواضح الذي نهب الأراضي الفلسطينية عياناً ويسبغ على ذلك ثوباً قانونياً مزيفاً يسهل التعامل معه كثيراً عند استرجاع الحقوق الفلسطينية للأسباب الآتية:

لا يستطيع أي يهودي استوطن أرض عربية ، أن يبرز للاجئ العائد «كوشان» وهو عقد تسجيل الأرض باسمه الشخصي ، فهو مستأجر فقط وبذلك يمكن تفادي نزاع شخصي بين ملايين اليهود وملايين الفلسطينيين .

ملكية الفلسطيني لأرضه تبقي ثابتة ، كما أسلفنا ولا يغير منها احتلال أرضه أو بسط سيادة أجنبية عليها ويكفي (للدلالة على الاستيلاء على أرض الفلسطينيين)

(1) د. سلمان أبو سته : حق العودة صـ٣٥.

تغيير القانون الأساسي بتغيير اسم المالك من الصندوق اليهودي أو الدولة إلى اسم المالك الفلسطيني .

إن «إدارة الأراضي» التي تؤجرها من المفترض أنها تملك كافة الوثائق عن الأرض الفلسطينية وإلا لما تمكنت من تأجيرها والتعامل معها ولذا فإن عملية استرجاع الملكية ليست معقدة.

إن معظم عقود الإيجار ينتهي بعد ٤٩ سنة أي عام ١٩٩٨ وهذه فرصة مناسبة لعودة اللاجئين ، يجب أنتهازها والاستعداد لها خلال السنتين القادمتين ولو فرضنا جدلاً أن النزاع سيطول حول تحديد الملكيات ، فإنه من الممكن عملياً وبسهولة بالغة تأجير أراضي قرية ما إلي أهالي تلك القرية جماعياً عند انتهاء عقد الإيجار الحالي وليست هناك صعوبة اجتماعية أو تاريخية في ذلك لأن كل قرية تتكون في الواقع من (٤ – ٥) عائلات كبيرة متقاربة ، ولا تزال متماسكة حتى اليوم ، ويعرف بعضها بعضاً ، كما أن الملكية الجماعية ليست جديدة عليهم فكثير من أراضيهم تسمي « مشاعاً » وتفلح جماعياً منذ مئات السنين [1].

وقد عرض على الكنيست الإسرائيلى فى يونيو ٢٠٠٩ مشروع قانون بنقل جميع الأراضى الفلسطينية المصادرة بدعوى أملاك الغائبين إلى الصندوق القومى اليهودى (كيرن كايامت) مما يمنع الفلسطينيين حتى الموجودين داخل إسرائيل من استرداد حقوقهم ، مما أثار ردود فعل غاضبة محلية ودولية .

(1) المصدر السابق صـ٣٧.

العوامل المؤثرة في توجه المهاجرين واستقرارهم

عندما غادر المهاجرون قراهم ومدنهم فإنهم قد ساروا على أقدامهم فى قوافل يحملون متاعهم على ظهورهم وعلى دوابهم والسعداء حظا غادروا على سيارت نقل ، وتحفل ملفات الأونروا ووثائقها التى تصدرها فى المناسبات المختلفة صورا بالغة التأثير للأوضاع المعيشية بالغة القسوة لهؤلاء اللاجئين .

وكانت عوامل تحركهم تتحكم فيها :

العوامل الجغرافية : بالتوجه لأقرب مكان آمن لن تطوله هذه الوحوش الآدمية التى روعت بالقتل والتدمير القرى المجاورة (شمال فلسطين توجهوا إلى لبنان وسوريا عن طريق لبنان ، وسط فلسطين توجهوا إلى الضفة الغربية والأردن ، شرق وجنوب فلسطين توجهوا إلى قطاع غزة ومصر).

العوامل التاريخية : باللجوء للأماكن التى انحدرت منها أساساً القبائل والأسر والبطون والعشائر .

العوامل الأمنية : سلامة الطريق من تهديد العصابات الصهيونية التى كانت تترك لبعضهم مسارات آمنة حتى الحدود ، والرغبة فى الاحتماء بأحد الجيوش العربية التى اشتركت فى محاولة طرد العصابات الصهيونية .

العوامل السياسية والدينية : حيث شعر اللاجئون بالترحيب بهم من قبل هذه الدولة أو تلك كما لايغفل العامل الدينى حيث توجه كثير من المسيحيين إلى لبنان

حيث تعيش طوائف مسيحية.

العوامل المعيشية : والتى تصور اللاجئون أن الحياة ستكون فيها أفضل نسبياً من غيرها لحين العودة . كذلك كان هناك معلم بارز آخر فى حياة هؤلاء البؤساء الذين تركوا ورائهم كل شيء (الأرض- الوطن - المنزل - الثروة) وحتى جزء من الأهل استشهد وجزء آخر غير معروف مكان إقامته أو جزء بقى مستمسكاً بالأرض لم يغادرها رغم كل أنواع الترهيب والترغيب فى ترك الأرض ، وكان هذا المعلم البارز أن جامعة الدول العربية أصدرت قراراتها المتعاقبة بعدم توطين هؤلاء اللاجئين فى الأوطان العربية المضيفة لتظل قضيتهم حية ولا تموت باندماجهم فى البلاد اللاجئين إليها ، ونشأ عن ذلك وضع خطير هو القرارات بنفى هؤلاء حيث هم وكيف هم وأن أى تحسن فى مستوى معيشتهم سيعد توطيناً.

العوامل التي شكلت النظرة الوطنية للاجئين في الدول المضيفة

تباينت النظرة الوطنية والشعور الوطنى إلى قوافل اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ إلى الدول المضيفة من دولة لأخرى وذلك تبعا لعدة عوامل منها :

الشعور الوطنى القومى : وهو أن هؤلاء اللاجئين تعرضوا إلى البطش اليهودى ، والذى يمكن أن يطولهم فى دولهم ومن ثم فإن الترحيب باللاجئين واجب قومى عربى ، وإن كان الشعور بالقومية العربية فى مهده فى هذه الفترة المبكرة من الصراع .

الشعور الدينى : ونظرا لأن معظم اللاجئين من المسلمين فإن الاعتبارات الدينية تملى على مواطنى دول الجوار التضامن الإسلامى معهم وهم أخوة فى الدين ، وهو شعور تملك أيضا المسيحيين فى لبنان تجاه المسيحيين وطوائفهم .

الأحوال الاقتصادية المحلية : نبع الشعور الأساسى تجاه اللاجئين من البواعث الاقتصادية فحيثما كان اقتصاد البلد متقدم ، وهناك حاجة للعمالة فإن درجة الترغيب ارتبطت بهذا العامل أكثر من غيره . إلا أن بعض دول المهجر (إستراليا – كندا – الولايات المتحدة) تعتبر أحيانا أن المهاجرين يحملون معهم فرص إنعاش الاقتصاد الوطنى عن طريق ما يحملونه من استثمارات ، أو ما يطلقون عليه حيوية اقتصادية عن طريق حاجتهم إلى الإسكان – والتعليم – والعلاج – الطعام وهو ما يؤدى لزيادة الطلب على قطاعات الإنتاج ، وإن كانت مثل هذه الخدمات تحتاج لاستثمارات كبيرة لم يكن تحتملها معظم الدول المضيفة.

عوامل التجانس الثقافى والدينى بين اللاجئين والدولة المضيفة : لم تغلق أى دولة

عربية من دول الجوار (الطوق) المضيفة حدودها فى وجه هذه الموجات البشرية اللاجئة فى بداية الأزمة عام ١٩٤٨ ، ذلك لأنه لم يكن هناك قلق كبير من تغير التركيبة السكانية أو العرقية إلا فى لبنان حيث أن معظم اللاجئين كانوا من المسلمين السنة الذين قد يتعارضون مع لبنان المسيحى .

التقييم الوطنى للمساعدات الإقليمية والدولية : حيث خفف من ثقل وقع اللاجئين على الاقتصاديات المحلية سعى دول الجوار إلى توقيع مساعدات إقليمية ودولية ، بينما بعضها لم يتوقع أن تساهم هذه المساعدات ولاسيما من الدول العربية الغنية فى تحسين أحوال المهجرين .

العوامل الأمنية الخارجية : حيث توجست بعض الدول خيفة من أن تقوم من بين اللاجئين منظمات عسكرية فدائية تقوم بأعمال فى إسرائيل تدفع الدولة المضيفة أعبائها مما قد يعرضها لرد فعل إسرائيلى مضاد .

العوامل الأمنية الداخلية : حيث شكل اللاجئون مجتمعات أصبح بعضها يهدد الأمن الوطنى (كما حدث فى الأردن) أو الأمن الجنائى .

***

توزيع الفلسطينيين وأماكن اللجوء وعدد اللاجئين والمواطنين[1]

مكان اللجوء	عدد الفلسطينيين عام ٢٠٠٨	نسبتهم فى الدولة إلى اللاجئين فى العالم	النسبة لمجموع اللاجئين فى الدولة	عدد اللاجئون من الفلسطينين فى كل دولة	نسبة اللاجئين إلى عدد الفلسطينيين فى كل دولة
فلسطينى ١٩٤٨ إسرائيل	١٢٨٧٦٣٣	٪ ١٢,١٨	٪٥,١٥	٣٤٦٢٣٥	٪ ٢٦,٨
قطاع غزه	١٤٢٤٦٧٦	٪ ١٣,٨٤	٪١٥,٥٩	١١٠٢٧٦٧	٪ ٧٧,٤
الضفة الغربية	٢١٤٥٣٨٨	٪ ٢٠,٣٠	٪١٢,٣١	٨٧٠٩٨٦	٪ ٤٠,٦
الأردن	٣٢٥٠٢٠٤	٪ ٣٠,٧٥	٪٣٤,٧٦	٢٤٥٨١٦٠	٪ ٧٥,٦
لبنان	٥٠٢١٩٨	٪ ٤,٧٥	٪ ٦,٦٧	٤٧٢٢٥٣	٪ ٩٤,٠
سوريا	٥٩٤٨٦٧	٪ ٥,٦٢	٪ ٨,٠١	٥٦٦٨٥٨	٪ ٩٥,٣
مصر	٦٥٨٧٩	٪ ٠,٦٢	٪ ٠,٧٧	٥٤٦٤٩	٪ ٨٢,٩
السعودية	٣٧١٠٤٧	٪ ٣,٥١	٪ ٥,٢٤	٣٧١٠٤٧	٪ ١٠٠
الكويت	٥٠٩٠٦	٪ ٠,٤٨	٪ ٠,٦٥	٤٦٤١٤	٪ ٩١
دول الخليج	١٤٢٥٧٦	٪ ١,٣٤	٪ ٢,٠١	١٤٢٥٧٦	٪ ١٠٠
العراق وليبيا	١٠٠٣١٦	٪ ٠,٩٤	٪ ١,٤١	١٠٠٣١٦	٪ ١٠٠
الدول العربية الأخرى	٧٤٨٦	٪ ٠,٠٧	٪ ٠,١٠	٧٤٨٦	٪ ١٠٠
أمريكا الشمالية والجنوبية	٢٧٤,٩٣٢	٪ ٢,٦٠	٪٣,٣٠	٢٣٣٦٩٣	٪ ٨٥
باقى دول العالم	٣٥٠٠٩٨	٪ ٣,٣١	٪ ٤,٢٠	٢٩٧٥٨٣	٪ ٨٤,٩
المجموع	١٠٥٦٨٠٠٠	٪ ١٠٠	٪ ١٠٠	٧٠٧١٠٠٠	٪ ٦٦,٩

(١) الخريطة المرفقة بمجلة العربى الكويتية عدد مايو ٢٠٠٨ ، أما النسب المئوية فهى من حساب الكاتب

الدعاوي الإسرائيلية بخصوص تهجير الفلسطينيين خارج إلى وطنهم

تدعى إسرائيل بعدة دعاوى لاتستقيم منطقا ولاقانونا لتبرير طردها لـ ٨٠٪ من شعب فلسطين عام ١٩٤٨ وترويعهم بالمذابح المختلفة تحت مبدأ (فلسطينيين أقل على أقل أرض) وممارسة التطهير العرقى والذى أصبح يتحدث عنه المؤرخون الإسرائيليون الجدد مثل «بنى موريس – إيلان بابه» وغيرهما .

ومن هذ الدعاوى :

«أن الدول العربية هى التى شنت على دولة إسرائيل الحرب حال قيامها فى ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ ، ولولا ذلك لظل الشعب الفلسطينى يمارس حياته العادية على أرضه» ، وهو قول مردود عليه ببساطة أن الدول العربية التى دخلت الحرب كانت بهدف حماية شعب فلسطين ومنع إسرائيل من تهجيره والاستيلاء على أرضه .

إن إسرائيل كانت فى حالة دفاع عن النفس وأن هؤلاء اللاجئين فروا نتيجة العمليات العسكرية ، وهو قول يفتقر إلى المنطق والواقعية حيث أن الفلسطينيين الذين فروا من المجازر والعنف الإسرائيلى عندما حاولوا العودة اعتبرتهم إسرائيل متسللين ولم تسمح لهم بالعودة لأرضهم وأصبحوا لاجئين داخل إسرائيل .

«إن قادة الدول العربية رفضوا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وأنهم أشعلوا الحرب للاستيلاء على إسرائيل وإلقائهم فى البحر» ، وهو قول مردود عليه أن إسرائيل لم تتوقف عند حدود

التقسيم الذى حددته الأمم المتحدة فى القرار السابق بل استولت على نسبة ٢٤٪ زيادة عن مساحة الأرض التى منحها لها قرار التقسيم وأن دوافع إسرائيل هى تطهير الأرض الفلسطينية من سكانها .

«إن الرؤساء العرب هم الذين طلبوا من الفلسطينيين إخلاء أرضهم حتى يمكن التخلص من اليهود ومن ثم دفعوهم إلى اللجوء بدعوى أنه لجوء مؤقت» ، وهو قول مردود عليه بأن الرؤساء العرب لم يكن لهم عمليا أية خطة مشتركة للحرب مع إسرائيل ، ومن ناحية أخرى فإن وجود الفلسطينيين على أرضهم يساعد ولا يعارض تقدم الجيوش العربية ، ولم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت أو الآن أية أسلحة نووية يمكن أن تصيب العدو والصديق إذا استخدمت ضد إسرائيل والذين تمسكوا بالأرض الفلسطينية ولم يغادروها وصل تعدادهم حاليا إلى ١,٥ مليون نسمه يشكلون ٢٠٪ من تعداد إسرائيل البالغ ٧,٣ مليون نسمة تعتبرهم إسرائيل شوكة فى جانبها وطابور خامس وتريد التخلص منهم بعملية الترانسفير أو التهجير إلى أرض السلطة الفلسطينية أو الدولة الفلسطينية المزمعة أو الأردن .

«إن أرض فلسطين هى أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » ، وأبسط رد على هذا الزعم هو ما قدمناه من جداول فى هذا الباب توضح أعداد الفلسطينيين وأعداد اليهود على مر سنوات الانتداب البريطانى والذى زاد من عدد اليهود لكنهم لم يجدوا أرضا بلا شعب بل وجدوا مقاومة ضارية من شعب أعزل لايملك وسائل قتال يتسلح بها .

«إن أرض إسرائيل لاتسمح بعودة اللاجئين لضغط السكان على الأرض وزيادة الكثافة السكانية» ، وهو قول مردود عليه بأن إسرائيل عام ١٩٩٣ استقدمت نحوا من مليون يهودى من دول الاتحاد السوفيتى السابق للعيش فى إسرائيل ، كما أنها

ترحب كل يوم بعشرات من اليهود المهاجرين من مختلف أنحاء العالم بينما الفلسطينى لا يستطيع العودة لأرضه ووطنه وبيته وعمله وأهله ، ورغم أنها تزعم ذلك فإن عودة اللاجئين الفلسطينيين ممكنة كما سنبين ذلك فى الباب الأخير من هذا الكتاب .

«تدعى إسرائيل فى السنوات الأخيرة منذ عام ٢٠٠٠ تقريبا أنها دولة يهودية (وليست دولة لكل مواطنيها كما تحاول الأقلية العربية أن تطالب بذلك) وأن عودة اللاجئين تخل بهذا المطلب وهذا التجانس» ، والرد على ذلك يوضح أن ذلك المطلب عنصرى وهو أيضا غير ديمقراطى ولا توجد أى دولة فى العالم تقوم على الدين سوى دولة الفاتيكان ، كما أن ذلك يتناقض مع جلب المهاجرين الروس الذين ثبت أن نصفهم تقريبا ليسوا يهودا بل قدموا للبحث عن ظروف معيشية أفضل من دول الاتحاد السوفيتى السابق .

«الاقتصاد الإسرائيلى محدود الموارد ، بينما بعض الدول العربية المضيفة للاجئين أراضها واسعة ويمكنها بسهولة استيعاب اللاجئين إلا أنها لاتريد أن تحسن ظروفهم المعيشية ليظلوا يحلموا بالعودة إلى فلسطين حيث يتوفر لهم ظروف معيشية أفضل» ، وهذا الطرح مردود عليه بأن الأوطان لاتعوض بصرف النظر عن الحالة الإ قتصادية التى يعيشها المواطن مع أهله وعلى أرضه متمتعا بخيراتها ، وأن اللاجئين ليسوا مهاجرين يرغبون فى الحضور للتمتع برغد العيش فى إسرائيل بل يريدون العودة للوطن الذى من حق أى يهودى فى العالم أن يحضر إليه وليس من حق صاحب الأرض العودة لوطنه .

«إن كثيرا من المدن والقرى التى كان يقيم فيها اللاجئين قبل رحيلهم عام ١٩٤٨ قد أزيلت وأقيمت مكانها تجمعات سكنية يهودية ولايمكن عودة اللاجئين

دون اقتلاع إسرائيليين من أماكنهم» ، والرد على هذا الادعاء أن من حق الفلسطينيين العودة والتعويض عن هذه الممتلكات التى نهبت ويمكن لهم إن لم يكن العودة لنفس الديار فإن إسرائيل التى تقيم المستوطنات على أرض فلسطين التى احتلتها عقب عدوان ١٩٦٧ يمكن أن تقيم لهم المساكن الملائمة للعودة .

«إن إسرائيل لا تستطيع قبول عودة هؤلاء الآلاف من العناصر التى تحمل العداء والكراهية لها الأمر الذى يهدد أمنها وبقائها» والرد على هذا الادعاء أن أى دولة متعددة الأعراق يمكن لشعبها أن يعيش فى سلام إذا كانت هناك ديمقراطية للجميع ، وبرغم إنكار حق الأقلية الفلسطينية العربية التى تمسكت بالأرض وبقيت فى إسرائيل فإنها تعايشت مع الحكم الإسرائيلى برغم ما يلحق بها من مظالم .

«إن نوعا من المقاصة قد حدث حيث أن عددا من اليهود غادروا البلاد العربية إلى إسرائيل لايقل عددهم عن عدد الفلسطينيين الذين غادروا إسرائيل وأن ممتلكات اليهود فى البلاد العربية تساوى أملاك الفلسطينيين فى إسرائيل» ، وهذه الدعوى سنخصص لها بابا من هذا الكتاب للرد عليها وتفنيدها ، كما أننا سنفرد بندا خاصا للرد على الموقف الإسرائيلى إزاء قرار الجمعية العامة بعودة اللاجئين رقم ١٩٤ فى ١١/ ١٢/ ١٩٤٨ [١].

«إن الله قد أعطى بنى إسرائيل فلسطين بنصوص توراتية باعتبارهم أرقى أنواع البشر وطلب منهم إبادة من يعيشون على أرضها» ، وهو ادعاء لا يستقيم مع المنطق إذ أن رسالات الديانات السماوية كلها تدعو إلى الحق والعدل والمساواة والخير والرحمة والتعاون .

(١) لمعرفة هذه الدعاوى الإسرائيلية راجع كتاب السفير طاهر شاش مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية الآمال والتحديات صـ ١١٨ وما بعدها ، دار الشروق .

«بل إن بعضهم ذهب إلى أن هناك آيات فى القرآن الكريم تؤكد حق إسرائيل فى أرض فلسطين مثل قوله تعالى :﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾[البقرة:٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٢١] ، وقوله تعالى : ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه:٨٠] ذكر ذلك فى الإذاعة الإسرائيلية العربية باحتفالات ٦٠ عام على قيام إسرائيل فى ١٥/ ٥/ ٢٠٠٨ برنامج خاص .

«الادعاء بأن إسرائيل لا تقوم بحرب إبادة أو تفرقة عنصرية تجاه الفلسطينيين العرب وذلك بدليل أن هناك فى العام الحالى ٢٠٠٩ حوالى ١,٥ مليون عربى فلسطينى يعيشون بسلام ولهم نفس حقوق اليهود» ، وهذا القول ظاهره فيه الصحة وحقيقته أن إسرائيل كانت تود التخلص من الموجودين فيها من الفلسطينيين العرب عام ١٩٤٨ لكنها لم تستطع القيام بذلك بسبب تمسك بعض الفلسطينيين العرب بأرضهم ، كما أنها لم تعط هذه الأقلية أى حقوق متساوية مع اليهود ومدنهم وقراهم تشهد على ذلك حتى اليوم ، وأنها كانت مضطرة بعد نحوا من عشرة سنوات من التردد وفرض الحكم العسكرى عليهم عقب قيام الدولة أن تعطيهم حق الاقتراع السياسى والمواطنة لكى تقبل فى العالم كدولة ديمقراطية وهو شعار فارغ المضمون لأن الحكومة الإسرائيلية تضمن بقائهم أقلية رغم نسبة تزايد السكان العالية بينهم وذلك عن طريق جلب يهود جدد أسوة بما تم فى عام ١٩٩٣ من دول الاتحاد السوفيتى السابق .

إن الفلسطينيين فى إسرائيل حتى اليوم لايشعرون بالأمان فى وطنهم وذلك لتزايد التفرقة العنصرية المتزايدة فى كل الخدمات بالإضافة إلى الدعوة لنقلهم إلى البلاد العربية أو إلى الدولة الفلسطينية المقترحة (دعوى دولتين لشعبين التى أطلقت فى عهد الرئيس

بوش وأولمرت فى خطابه فى الكنيست بمناسبة مرور ٦٠ عام على قيام دولة إسرائيل ١٥/ ٥/ ٢٠٠٨ وتناقلتها وزيرة الخارجية تسيبى ليفنى والحكومة اليمينية العنصرية التى تلتها فى ١٠/ ٢/ ٢٠٠٩ برئاسة نتنياهو وعضوية ليبرمان الذى يريد أن يفرض مبدأ الولاء مقابل المواطنة ويطالبهم بالقسم لإسرائيل وعلمها ورموزها ويطالب بترحيلهم .

إن اللاجئين وحتى عرب إسرائيل مفروض أن يتوجهوا إلى الدول العربية لأسباب منها : أن العرب تستخدمهم كورقة ضغط سياسية على إسرائيل ببقائهم قنبلة قابلة للانفجار على حدود إسرائيل ، بالإضافة إلى أن الدول العربية فيها مساحات واسعة من الصحارى غير المستغلة يمكن الاستفادة منها بمساعدات دولية وتوطين اللاجئين فيها ، كما أن التركيب السكانى خاصة للدول البترولية غير كفء وتستورد العمالة الأجنبية من جنوب شرق آسيا وشرق أوروبا فلماذا لاتستخدم أهلهم من الفلسطينيين اللاجئين ، كما أن هناك تجانس عرقى ودينى بين اللاجئين وبين سكان الدول العربية مما يسهل اندماجهم مثل ماحدث بنسبة كبيرة فى مصر وسوريا والأردن ، كما أن الدول المضيفة للاجئين لاتريد تحسين أوضاعهم المعيشية حتى لايطلبوا الإقامة والتوطين فى البلد المضيفة .

كان هناك مشروع للتوطين للاجئين فى سيناء قبله الرئيس جمال عبدالناصر لكن الفلسطينيين رفضوه ، وسيناء يمكنها استيعاب جميع اللاجئين فى الدول المضيفة – دول الجوار أو الطوق لأن مساحتها حوالى ٦١ ألف كيلومتر مربع وعدد اللاجئين حاليا ٦ مليون نسمه (٢٠٠٩) ، وكما أن الأردن بمساحتة التى تقدر بـ (٩١ ألف كيلو متر مربع) يمكن أن تكون «الوطن البديل» بصحاريه الواسعة والمساعدات الدولية التى يمكن أن ترقى باقتصاده والرد عليه أن عملية نقل شعب بالكامل من دولته إلى دولة أخرى لأسباب مختلفة لإفراغ الوطن من أهله ليستعمرها قوم آخرون أتوا من بلاد العالم المختلفة هو بمثابة مطالبة بالترانسفير .

موقف إسرائيل من عودة اللاجئين

لاتقبل إسرائيل مجرد مناقشة أو تناول موضوع عودة اللاجئين فى أية مباحثات سياسية معها وذلك لدعاوى أن عودتهم ستغير الطابع اليهودى للدولة التى هى المشروع الصهيونى لكى تكون لليهود دولة حتى إذا ما نالهم أذى فى أى دولة من دول العالم تكون إسرائيل لهم ملجأ وملاذا . كما أنها تدعى أن العنصر اليهودى أرقى من العنصر العربى وأنها ستعانى دينيا واجتماعيا وسياسيا فى حالة عودة اللاجئين ، فضلا عن أنها ليست مسئولة عن خروجهم من فلسطين ، بل إنها تحلم بطرد من فيها حاليا من الفلسطينيين (داخل إسرائيل – الخط الأخضر – فلسطين ١٩٤٨) .

إلا أن إسرائيل أعلنت فى يوليو ١٩٤٩ قبول عودة مائة ألف لاجئ فى إطار جمع شمل العائلات بشرط أن يبدى العرب استعدادهم للدخول فى مفاوضات معها ، إلا أنها قلصت هذا العدد فى اقتراحها أمام لجنة التوفيق(التى عينتها الأمم المتحدة لتنفيذ قرار التقسيم رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧) إلى أقل من نصف هذا العدد (٤٥ ألف) فقط وذلك بحجة أن هناك ٥٥ ألف فلسطينى تسللوا إلى إسرائيل (العائدون لأرضهم ووطنهم أطلقت عليهم متسللين) . وقد رفضت الدول العربية هذا الاقتراح كما رفضته الولايات المتحدة الأمريكية ، وسنتناول فى باب اتفاق أوسلو عودة النازحين بناء على قرارات اللجنة الرباعية التى أنشأت بموجب هذا الاتفاق .

***

البلد	المساحة كم٢	عدد اللاجئين بالألف ١٩٤٨	كثافة اللاجئين/كم٢
لبنان	١٠٤٠٠	١١٥٦	١١٠١١
سوريا	١٨٥١٨٠	٩٧٨	٠,٥٣
الأردن	٦٠٠٠٠	٨٠٨	٠,٨٩
الضفة الغربية	٥٨٧٩	٣٢٣	٥٤,٩٤
غزة	٣٧٨	٢١٩,٣	٥٨٠,١٥
القدس الشرقية	٤٥		

ملاحظات[1]:

- عدد السكان فى فلسطين عام ١٩٤٨ (عرب ، ويهود ، أخرى) ٢٠٦٥ ألف.
- عدد الفلسطينيين من هذا التعداد هو ٤٠٠ ,١ ألف .
- عدد غير الفلسطينيين بلغ ٦٦٥ ألف .
- اللاجئين المغادرين لوطنهم ٨٥٠ ألف بنسبة ٦٥ ٪ من الفلسطينيين .
- الذين احتفظوا بالأرض ولم يغادروا ١٥٦ ألف أى بنسبة ١١ ٪ تقريبا .
- فى عام ١٩٤٨ هاجر إلى العراق ٤٣٠٠ لاجىء وإلى مصر ٨٥٠٠ لاجئ.

ونظرا لأن نسبة كبيرة من الأردن فقيرة الموارد (صحراء) فإن الكثافة لاتعد المقياس الوحيد لوضع اللاجئين بل يجب أن تؤخذ فرص العمل وحاجة الاقتصاد

(1) مصدر هذه المعلومات : اللاجئون الفلسطينيون جوهر الصراع وعقدة التسوية صـ٥٠٦ ، أما النسب المئوية فمن حساب الكاتب ، أما مصدر مساحات (الأردن ، سوريا ، لبنان ، الضفة ، غزة ، القدس) من الموسوعة المبسطة لدول العالم صـ٢٠٥ .

القومى فى الاعتبار حيث رحبت بهم سوريا ، والعراق بدرجة كبيرة كما سيأتى ذكره عند تناول اللاجئين إلى كل بلد .

اللاجئين الى القدس اعتبروا ضمن اللاجئين إلى الضفة الغربية لكن أوردنا بيانات المساحة للاستدلال على الوضع الصعب .

بالرغم من أنه لم يكن هناك مستوطنات فى قطاع غزه عام ١٩٤٨ إلا أنه بعد ذلك أقيمت ٢٢ مستوطنة شغلت بالمنطقة الأمنية حولها ٤٠ ٪ من مساحة القطاع والمساحة هنا مسجلة حسب خطط الهدنة وليس الحالية .